

كتاب: الفهم المقاصدي للسنة النبوية

د. محمد مختار جمعة

- سبب المشكلة: قلت العلم والفهم، الحسن البصري: **انه قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خربوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ**.
- أهمية فهم المقاصد: هي الميزان الدقيق لضبط الفتوى، المحافظة على مقصود الشريعة في الحفاظ على الكليات الست، نحتاج إلى قراءة عصرية للسنة النبوية تتواءم مع روح العصر ومستجداته.

ما حديث القرآن عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

- رحمة: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (فما رحمتهم الله...) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم...) (واعلموا أنه قبيلكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من زكاه ربه: اللسان (وما ينطقه عن أهوى...) / البصر (ما زاغ...) (لغواذ (ما كذب) العقل (ما ضل صاحبكم...) / العلم (عليه شديدا...) / الخلق (وانك لعلى...) (لقد كان لكم...) (ألم نخرج...) (أنا فتحنا لك...) / البيعة (أله لذيذ يبايعونك...) الرحمة بأمة: حياته أمامهم (وما كان الله ليغيبهم...) (رحمة قرأ النبي: (رب انهن أضللن...) (أله تغيبهم...) قال: [أمتي أمتي] فأوحى الله إليه: [أنا سرضيك في أمتك ولا تسوؤك] حسن.
- إكرام في إنداد: الفداءات على الأنبياء بأسمائهم، وعلى الرسول بشرف الرسالة، وعندما ناداه باسمه قرينه بالرسالة (محمد رسول...) (وما محمد إلا رسول...) العهد على الأنبياء: (واذ أخذ الله ميثاقه للنبيين) يوم القيامة: أول شافع وأول مشفع وصاحب المقام المحمود (ومنه الليل فتهدى به...) الصلاة عليه: (أله ملائكته يصلونه...) (وصل عليهم...) [إذا سمعتم المؤذنة...]

منزلة السنة وحجيتها

- وجوب طاعة الرسول: (يا... أطيعوا الله وأطيعوا...) (قل أطيعوا الله...) (ومنه يطع الله...) [فأولئك مع... يدخلون] (وما كان للمؤمن ولا مؤمنة...) التحذير منه مخالفته: (فلا وربك...) (فأطيعوا لذيذ...) (يا... أطيعوا ولا تبطلوا...) (ومنه يعص...) الحديث تؤوي بطاعة الرسول: [الأهل عسى رجل يبلغ الحديث وهو ضال على أركته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإله ما حرم رسول الله كما حرم الله] [ترمذي] [دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بسوا الزموا وأخلاقهم على أنبيائهم، فإذا استحييتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم] [بخاري] [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى...] / [منه أطاعني فقد أطاع - ومنه عصاني...]

- السنة شاهدة ومثبتة : (وانزلنا إليك الذكرة) (وانزل الله عليك) (هو الذي بعث في الأميين رسولاً) (واذكره ما أتاك في بيوتكم) ذكر لحسن بصري ولساغني وغيرهما أنه الكلمة هنا هي سنة رسول الله. كلام العلماء والأصوليين عند حجبة لسنة : يقول الشافعي : لم أسمع أحداً من هذه الناس إلى العلم يخالف فرض الله باتباع أمر رسوله ويقول الجرجاني : يقول ابنه حمزم : في أي قرآن وجدته تفاصيل عبادات ولعالمات ، إنما في القرآن عمل لو شررنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها ؟ وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك ذكر لشوكاني وإلاوسي ما يشيخ إلى ذلك المعنى .

حجية التجديد

٣٥

يحتاج المجدد إلى رؤية ودراية وفهم عميق وشجاعة وجهادة وحسن تقدير ، وإلى أهم من ذلك كله وهو إخلاص السنة ، بما يعينه على حسن الفهم وتحمل النقد . (١) الثوابت ليس فيها اجتهاد ، مجال الاجتهاد هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي .

(٢) النظر بتقدير واحترام لكل آراء العلماء من المجددين المجتهدين .
(٣) قد تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ، وإلحاح الأحوال والأشخاص ، يقول الإمام القرافي : ينبغي للمفتي أن يسأل المستفتي عن بلده وعرفه قبل الفتيا .
(٤) يؤمن بالرأي والرأي الآخر ، وإمكانية تعدد أصواب في بعض القضايا الخلافية ، فالأقوال الراجحة ليست معصومة ، والأقوال المردودة ليست معدومة .
(٥) يسارع وتيرة الحياة ، وكثرة المتغيرات تحتم علينا التجديد في الفتاوى .
(٦) أقر النبي بالاجتهاد : أرسل النبي معاذاً إلى اليمن [كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟] قال : "بكتاب الله" . السنة رسول الله "اجتهاد رأي ولا آلو" فقال : [الحمد لله الذي وفقه رسول الله لما شرى رسول الله] .

يعني إذا لم يجد الحكم في النص جتهد برأيه .
- فوائده حديث معاذ : ١ - عدم الرجوع إلى الرسول دليل على فتح باب الاجتهاد بالرأي .
٢ - قال النبي : إنه لله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد فيها .
٣ - سأل الصحابة على طريقة الاجتهاد ، بعث عمر لأبي موسى : الفهم الفهم .
عند ما يتلجلج في صدرك محال يبلغك في كتاب الله ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور عند ذلك ، ثم ائتم إلى أجهلها عند الله وأخبرها بالحق فيما ترى .

(٧) قضايا التجديد لا تكون موضوع إجماع الإربع فترة من صعود إمام التقليديين .

(٨) الانضباط بمنزلة الشئ والعقل ، وأنه يكون المجدد متخصصاً مؤهلاً ،

وإذا اردنا أنه تقضي على تشدده من جهة ، فلا بد أنه تقضي على تسببه من جهة .
(٩) ثقافة التفكير مهمة في كل الجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية .

الإسلام عدل كله.. وهو دينه مكارم الأخلاق [إنما بُعثت به]، ومن لبت عنده أخلاقه هو عب على الدعوة (ومنه الناس من يعجبك) (إذا جادك المنافقون) كلام أهل العلم وفقه حول مصالح العباد:

- وأن هذه المصالح هي مقاصد الشريعة،
- يقول الإمام أبو حامد الغزالي: ^١ تعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشريعة، ومقصود الشريعة من الخلقة خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلكهم ومالههم، فكل ما يتضاه حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة.
- يقول الشاطبي: ^٢ المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد، فالتكليف كله إما لدفع مصلحة أو لدفع مفسدة.
- وقال بمنزل هذا الكلام الإمام ابن القيم، ولعزبه عبد السلام وغيرهم.

٥ سنن العبادات وأعمال العادات

- السنة يُثاب فاعلموا ولا يُعاقب تاركها: سئل النبي عن الإسلام [فممن صلوات في اليوم والليل] [أفالج إن صدقته] [أضنوا لي شيئاً].
- الفرق بين سنن العبادات والعادات: العبادات راجعة إلى الدليل والاتباع مثل صيام يوم عرفة... والعادات راجعة إلى العرف والعادة.
- الأصوليون وسنن العادات: كلام الإمام الشافعي حول تغطية الرأس هو من سنن العادة، يقول الشافعي: كشف رأس الرجل يختلف بحسب البقاع في الواقع، ويقول القرافي: إنه إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير العوائد فهو خلاف الإجماع لغير الدين.

٦ تصرفات النبي - صلى الله عليه وسلم - في إدارة الدولة

- لم يكن النبي نبياً فحسب، وإنما كان نبياً ورسولاً، وكلما وقاضياً وقائداً عسكرياً باعتباره نبياً ورسولاً؛ ما اتصل بشئ من العقائد والعبادات والقيم والأخلاق من صحيح السند في ما كانه محمد (صلى الله عليه وسلم) [فصليت على الأنبياء... وخرقت بي لنبوته] باعتباره نبياً ورسولاً؛ لا بد له يُقلده أنه يتوفر فيه الشرط بأن يكون حاكماً.
- استلذة: - أحبباء الأرض الموت [من أحبوا أرضاً ميتة فهي له]
- سلب القتل: [من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه]
- قضيت الخلع: امرأة ثابت بن قيس [أقبل لحديقة وطلقها طليقة]

① فهم أحاديث السواك :

- الحديث : عنه أبي هريرة - [لولا أنه اشق على امتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة] بخ ، وفي رواية [عند كل وضوء] ، عنه حذيفة - [إذا قام من الليل يشوش فاه بالسواك]
- الحكمة منه : [السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب] فالغاية منه النظافة وتغيير الرائحة بالطبيعة ، وليس بوضع الأعواد في الجيب معرضة للأثرية ، فلا حرج على من يفعل ذلك بغيره من الوسائل كالفرشاة ومعجونه الأسنان .

② فهم أحاديث نظافة الفراش :

- الحديث : عنه أبي هريرة - [إذا أوى أحدكم إلى فراشه ، فليأخذ داخلته إزاره ، فلينفذ بها فراشه ، وليسم الله ، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه] بخ ، وفي رواية [فلينفذه بصفحة إزاره] أي طرفه إزاره .
- الحكمة منه : تنظيف مكانه النوم ، وليس باليد حتى لا تصاب .
ومن الحكمة أنه تفعل ذلك بأي آلة عصرية ، تصل بالانفس لغاية .

③ فهم أحاديث أسباب الثوب :

- الحديث : عنه ابنه عمر - [لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء] بخ وعنه - [من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة] بخ وعنه أبي هريرة - [ما أسفل الكعبين من الإزار فني النار] بخ .
- الحكمة : العلة من النهي هي الخيلاء ، وجاء من حديث مطلق ، فإنه يحمل على المقيد ، قال النووي : التقيد بالجر خيلاء ، يخص عموم السبل إزاره ، ويدل على أنه المراد بالوحيد من جر ثوبه خيلاء ، بدليل خصية النبي لأبي بكر [لست منهم يا أبا بكر] إذ كانه لغير خيلاء .
وقال مثل ذلك ابنه حجر وشوكاني والمافظ العراقي وروى أنه أبا حنيفة استرى برداءه ثياباً مجرورة ، فقال : إساءة للنبي لذوي الخيلاء ، ولنا منهم .

④ فهم أحاديث القيام :

- الحديث : عنه معاوية - [من أحب أنه سهل له الرجل قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار] ، وعنه أبي أمامة - [لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً]
- العلة : النهي ليس مطلقاً إجماعاً بالتعظيم ، وتوابع البخاري باب قيام الرجل للرجل تعظيماً ، بدليل قول النبي للقوم [قوموا السيد كمد] يعني سجدته معاد .

(٥) فهم أحاديث صدقة الفطر:

الحديث: عنه ابنه عمر - [فرض رسول الله ﷺ صدقة لفطر صائماً من تمر أو صائماً من شئ على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة] بخ الحكمة: إغناء الفقير وتحقيق صالحه، فحيث تكلوه مصلحة الفقير تكلوه الأفضلية، فما خراج القيمة جائز، بدليل حديث ابنه عمر في البخاري: "فقد ل الناس به نصف صاع من نر"، وحديث أبي سعيد في صحيح مسلم، أنه معاوية قال: "أبي أرى مدين من سمرات لشام، تعدل مداً من تمر". والمدان ربع صاع، ولشام الحنطة وهي القمح.

- وعنه معاذ بن جبل أنه قال لأهل اليمن: "اتشربوني بعرض ثياب حميص في الصدقة مكانه الشعير والذرة، أهونه عليكم، وظهر لأصحاب النبي بالمدينة بخ".

- وكان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: "الدقيق أحب إلى من الحنطة، والدهر أحب إلى من الدقيق والحنطة، لأنه ذلك أقرب لدفع حاجة الفقير".

- وقد نص الفقهاء على إخراجها من غالب قوت البلد، وذلك يماسك مع حاجة الفقير وسدات العصر: إنما ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه.

(٦) فهم أحاديث الأضيحة:

الحديث: عنه سلمة بن الأكوع - [من طعم منكم فلا يصح أن بعد الثالثة وبقي في بيته منه شئ، فلما كان العام المقبل، قالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا عام الماضي؟ قال: كلوا وأطعموا وأدخروا، فإنه ذلك العام كان بالناس جهد، فأردت أنه تغيثوا فيها] بخ.

- السبب: كانه لحال الشدة الذي وقع فيها الناس، فلا تسخ، فحيث تكلوه الشدة يكلوه الأمر بعدم الإدخار.

- وكذلك تقسم الأضيحة أثلاً، فهو من لإحتياج فقط، مع علم ثواب الصدقة.

فهم أحاديث الحمامة: [منه اختيار الأوقاف ٢٦/٢٧، ٢٤/٢٥]

الحديث: عنه أنس - [إنه أفضل ما تدأون به الحمامة] بخ، ومن رواه أخرى [إنه كان في شئ من أدويتكم خيراً أفي شربة محمد أو شربة عسل، أولذعت بنار توافق الدواء، وما أحب أنه أكتوي] بخ.

- الفهم العقاصدي: الأخذ بالأسباب والتداوي بوسائل العصر المتاحة مع العلم أنه الحمامة ذكر أطباء الطب البديل في العالم فوائدها، بشرط أنه تكلوه على يد طبيب وليس النساء عاداتاً، وهذا لا يعني حرمة التداوي بغيرها، بل يجوز وقد يجب التداوي بما هو مناسب للإنسان في العصر الحديث، ويجوز ترك الأصحاح له وجد أنه حاله لا يتوافق مع فعلها، مع التداوي بغيرها.

نسألكم الدعاء